العلاقات الهندية الإسرائيلية

بقلم : الأستاذ نبيل أحمد حافظ مرزا الأعظمي
(مركز الدراسات العربية والإفريقية – جامعة جواهر لال نهرو . دلهي الجديدة)

الخلفية التاريخية :

اعترفت الهند بدولة إسرائيل في ١٧/سبتمبر ١٩٥٠م ، أي بعد سنتين على تأسيسها ، ولم تقم علاقات دبلوماسية حتى عام ١٩٩٢م ، يعود ذلك بشكل رئيسي إلى دعم وتعاطف الهند مع القضية الفلسطينية ، فالهند كانت عضواً مؤسساً في حركة علم الانحياز ، التي كانت تساند الكفاح ضد الاستعمار حول العالم وتقدم دعماً واسعاً منظمة التحرير الفلسطينية ، كما أنها كانت من أولى الدول غير العربية التي اعترفت بالاستقلال الفلسطيني و واحدة من الدول التي سمحت بإقامة سفارة لمنظمة التحرير الفلسطينية في عاصمتها .

وقد كان موقف الهند المضاد لإسرائيل جزءاً من الاستراتيجية الدبلوماسية الهندية الهادفة إلى مواجهة التأثير الباكستاني في العالم العربي وحماية إمدادات النفط إليها من البلدان العربية ، وضمن ذلك أيضاً برز تأمين استمرار وحماية العمالة الهندية في الخليج ، التي تساعد الهند على إبقاء احتياطها النقدي عائماً ، وخلال الحرب الباردة . كانت كل من الهند وإسرائيل في معسكر معاكس ، إذ دعمت إسرائيل الولايات المتحدة ، في حين تعاطف الهند مع الاتحاد السوفيتي . وقد عارض حزب المؤتمر الهندي ، الذي هيمن بقوة على السياسة الهندية منذ استقلال الهند في عام ١٩٤٧م ، إسرائيل وبشكل أساسي ، لأنه اعتبرها مماثلة لباكستان كدولة قائمة على الدين ، وهو ما أعاق

أيضاً نمو الروابط الهندية الإسرائيلية فور الاستقلال الهندي ، الجدير بالذكر أن الهند وإسرائيل على الرغم من ذلك أدارتا جملة من القضايا بينهما ، خصوصاً ما يتعلق بالتعاون الواسع بين وكالة الاستخبارات الهندية (RAW – قسم التحليل والبحث) ، وبين "الموساد" في إسرائيل ، وهذا التعاون كان نتيجة اتفاق سري في مجالات الأمن والاستخبارات والعتاد العسكري ، ومن جهتها ، لم تتردد "إسرائيل" في مساعدة الهند دفاعياً ، وقدمت مساعدة ودعم لوجستي خلال حربها مع الصين في عام ١٩٦٢م ، وفي حربها مع باكستان في عام ١٩٦٥م ، إلا أن العلاقات شهدت انحداراً في بداية السبعينيات مع تفاقم النزاع العربي الإسرائيلي بعد حرب عام ١٩٦٧م .

ومع انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتي ، اضطرت الهند إلى تغيير وجهة سياستها الخارجية لتتكيف مع البيئة الدولية المتغيرة ، وقد بدأت الهند في التزام خط اقتصادي ليبرالي ، أدى إلى فتح الأسواق أمام الأمم الأخرى ، وفي عام ١٩٩٢م أقامت الهند علاقات دبلوماسية كاملة مع إسرائيل ، وجرى افتتاح سفارة لكل منهما في الدولة الأخرى ، ومنذ ذلك الحين ، بدأت العلاقات الثنائية الهندية الإسرائيلية تستحوذ على ديناميكية جديدة نحو التطور ، وفي الوقت الذي جرى فيه تعزيز العلاقة في حقول معينة ، بقيت هذه العلاقة بشكل علم واهنة علناً ، ومثل هذا الموقف كان يعتقد أنه ضروري لعدم تأثرها سلباً بالعداوة العربية لإسرائيل .. وفي هذا السياق . تأتي زيارة أريل شارون إلى الهند في أيلول ٢٠٠٣م كإشارة مهمة أوضحت للعالم بأن الهند لم تعد تخفي تنامي علاقاتها السريعة مع "إسرائيل" .

وقد برز نوع من القلق بعد التغيير الأخير الذي طال

الحكومة الهندية مؤخراً .. إلا أن ما يظهر هو بقاء الأمور في وجهتها الصحيحة ، فقد أظهرت الحكومة الجديدة تصميماً على الاستمرار في طريق تعزيز العلاقات مع إسرائيل ، ويشهد على ذلك اتصالات جرت على مستوى وزارة الخارجية في شهر تشرين الثاني ٢٠٠٤م ، وهي اتصالات تعقد بشكل دوري سنوياً منذ عام ١٩٩٩م ، إضافة إلى أن مجموعة العمل الهندية الإسرائيلية المشتركة (JWG) الموكلة لمكافحة الإرهاب ، اجتمعت بعد ذلك في نيودلهي ، حيث اتفق الجانبان على تعزيز التعاون في المنتديات المتعددة الأطراف وفي مجالات التفاعل المشترك ، وقد جرى إقرار مجموعة العمل الهندية - الإسرائيلية المشتركة (JWG) والعمل بها في علم ٢٠٠٠م ، من أجل دفع التعاون بين الدولتين قدماً في حربهما ضد الإرهاب .

◆ تقارب المصالح ومكافحة الإرهاب :

إن محاربة الإرهاب يعتبر تحدياً رئيسياً لكل من الهند وإسرائيل ، فكل منهما دولة تعددية وديمقراطية مع أقلية إسلامية كبيرة ، حيث تواجهان سوط الجهاد الإسلامي ، المدعوم من دول الجوار ، وهي مشكلة مشتركة تؤدي إلى أن تفهم إحداهما مخاوف الأخرى ، ومن هذا المنطلق يفهم اقتراح "براجيش مشرا" ، مستشار الأمن القومي الهندي السابق ، الذي طالب في خطاب له أمام اللجنة اليهودية الأمريكية في واشنطن في نيسان ٢٠٠٣م ، أن تقوم كل من الهند ، وإسرائيل والولايات المتحدة بالائتلاف لمحاربة التهديدات المشتركة للأصولية الإسلامية .. وطالب بأن على الأمم الديمقراطية أن تواجه خطر الإرهاب الدولي عن طريق تشكيل "تحالف فعال" مع تطوير آليات متعددة الأطراف لمواجهته ، وقد دعمت إسرائيل هذه المطالب واعتبرت أن هناك محوراً واتفاقاً غير معلن مع الهند والولايات المتحدة

لمكافحة الإرهاب الدولي يهدف إلى جعل العالم أكثر أماناً .

وعلى الرغم من أنه لم يتم تشكيل تحالف واضح بين الدول الثلاث ، باشرت الهند وإسرائيل تعاونهما على جبهة الإرهاب ، إذ وجدت الهند في ذلك إفادة للتعلم من التجربة الإسرائيلية في التعامل مع الإرهاب الذي عانت منه إسرائيل لمدة طويلة ، ليس فقط من قبل المجموعات "الساخطة" ضمن أراضيها ، لكن أيضاً من تلك المجموعات المحرّضة من قبل دول الجوار ، وفي الغالب هي أنظمة غير ديمقراطية ، تحاول على نحو متزايد تحويل أسلحة دمار شامل إلى المنظمات الإرهابية ، فدول مثل باكستان في جنوب آسيا ، أو إيران وسوريا في الشرق الأوسط ، لطالما استخدمت الإرهاب كأداة لسياستها الخارجية ، وبالتالي هناك تشابه هيكلي متميز في نوع التهديد الإرهابي الذي تواجه الهند وإسرائيل .

◆ الأمن ومواجهة الإرهاب :

ونتيجة لذلك ، برز تفاهم أساسي بين الهند وإسرائيل في عدم إمكانية المهادنة مع الإرهاب ، رغم حقيقة الظروف المختلفة لطبيعة الإرهاب المواجه من قبلهما ، وقد جرى الإعلان خلال زيارة شارون إلى الهند عن إدانة الدول والأفراد الذين يحضرون ويساعدون الإرهاب عبر توفير المأوى والدعم المالي والتدريب والرعاية .. وفي حين أن الهند تنظر إلى إسرائيل على أنها مصدر تأهيل طواقمها الأمنية و وسائلها العسكرية لمواجهة الإرهاب ، ترغب إسرائيل في تقديم دعمها المادي والمعنوي .

ولم تقتصر العلاقة ما بين الهند وإسرائيل على تبادل المعلومات الاستخبارية الحاسمة بما يخص الجماعات الجهادية الإسلامية فحسب ، إذ ساعدت إسرائيل في مكافحة الإرهاب في كشمير عبر

تزويد الهند بالدعم اللوجستي الهام، كتوفير أجهزة مراقبة خاصة، والتعاون في جمع معلومات استخبارية، وتدريبات ومناورات مشتركة وتعاون في منع تبييض الأموال وتمويل الإرهاب .. ومستوى التعاون الاستخباراتي بين الهند وإسرائيل قد يكون أشمل من التعاون الاستخباراتي ما بين الهند والولايات المتحدة، كما أن الوسائل المستخدمة من قبل الجيش الإسرائيلي في مواجهة الفدائيين والحروب المدنية التي يشنها الإرهاب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة، يمكن أن تكون ذات فائدة للقوات الأمنية الهندية في مواجهة التمرد لديها، وهي وسائل كانت مفيدة للقوات الأمريكية في العراق لمعالجة التمرد المتزايد هناك .

إن التجربة الإسرائيلية الكبيرة والطويلة في تدريب وتجهيز وتشغيل الوحدات السرية الخاصة وانتشارها في البلدان والقرى الفلسطينية لجمع المعلومات الاستخبارية، هي تجربة مفيدة للقوات الأمنية الهندية التي تواجه حالات مماثلة في كشمير وفي المنطقة الشمالية الشرقية .. ويمكن للخبرة الإسرائيلية في مجالات أخرى أن تدمج من قبل الهند، كالوسائل التي تخفض من خطر الكمائن، استخدام المشاة و وحدات المغاوير لضرب مخابئ الأسلحة وقابلية الإرهابيين في صنع القنابل، استعمال الكلاب والإنسان الآلي، إضافة إلى خبرة الهندسة العسكرية في كشف الألغام المموهة على الطرقات، بعد زيارة شارون للهند مباشرة قررت الدولتان إجراء تدريبات عسكرية مشتركة لقواتهما الخاصة لتعزيز التعاون الدفاعي لديهما، وهي خطوة منطقية تسمح بعرض المهارات المكتسبة ضمن سياق ديناميكا الصراع الخاص الإقليمي، الأمر الذي يدفع نحو تعزيز قابلية القوة لكل منهما، وتتوقع إسرائيل أن تدرب الهنود على

مواجهة التمرد، مواجهات الصحراء، الجبال والغابات، وإجراءات مضادة لحالات الاختطاف واحتجاز رهائن .. وتهدف الهند بشكل أساسي إلى معالجة تسرب المتمردين من باكستان نحو كشمير وحماية الولايات الشمالية الشرقية من التسرب من الدول الأخرى المحاذية، كما أظهرت الهند اهتماماً بالوسائل المضادة للتسرب التي تستخدمها إسرائيل في مرتفعات الجولان وفي صحراء النقب.

◆ التعاون الدفاعي:

أظهر تطلع هندي بأن إسرائيل تعتبر كسوق مورد كبير للأسلحة، حيث احتلت الهند مكانة تركيا من حيث مبيعات الأسلحة الإسرائيلية، إذ تحول سحر الأسلحة الروسية بعد الحرب الباردة إلى درجة منخفضة جداً، ومع تخصص إسرائيل بتطوير الأسلحة الروسية فقد ظهرت كبديل مقنع لترقية وتنويع السلاح الهندي.

من ناحية أخرى، فإن عمل إسرائيل على البحث عن أسواق جديدة لتسويق منتجاتها العسكرية، جعلها الدولة الخامسة من حيث الصادرات العسكرية في العالم، ومن هنا عملت إسرائيل على تعزيز علاقاتها الدفاعية مع الهند وصادراتها إليها، الأمر الذي منح دفعاً هاماً إلى الاقتصاد الإسرائيلي كنتيجة لذلك، بحيث وصلت الشراكة الأمنية بين البلدين إلى مراحل متقدمة جداً في السنوات الأخيرة.

وباعتبار تطوير الصناعة العسكرية الإسرائيلية مسألة أمن قومي حيوي، ضخت إسرائيل استثمارات ضخمة في مجالات البحث والتطوير، مما أدى إلى اعتبار أنظمة السلاح الإسرائيلية في طليعة الأسلحة المسوقة في سوق الأسلحة الدولية، ويجري مقارنتها حتى مع

المنتجات الأمريكية والأوربية .. وعلى الرغم من علاقاتها المتميزة مع الولايات المتحلة ، حاولت إسرائيل تنمية علاقات ثابتة مع الهند في مجال مبيعات الأسلحة رغم الحظر الذي بادرت إليه الدول الرئيسية الأخرى على مبيعات الأسلحة للهند ، إثر التجارب النووية الهندية في نيسان ١٩٩٨م .

... فمن الأنظمة ضد الصواريخ إلى الرادارات العالية التقنية ، ومن طائرات من دون طيارين إلى أجهزة الرؤية الليلية ، وصلت العلاقة الهندية الإسرائيلية إلى حدود بعيدة جداً في الآونة الأخيرة ، حيث إن أكثر من ٧٠٠مليون دولار سيتأتى للصناعة العسكرية الإسرائيلية جراء خطة الجيش الهندي لتطوير قدراته القتالية ، من بينها تطوير منظومة الاتصالات ، تطوير القوة الجوية الهجومية ، تطوير المروحيات ، قدرة البحرية الهندية المضادة للغواصات وطائرات الدورية البحرية .. وقد أظهرت الهند اهتماماً في إقامة صناعات مشتركة .. إضافة إلى أن الولايات المتحدة قد أعطت مؤخراً موافقتها على تسليم إسرائيل طائرات فالكون (أواكس) للهند ، بعد تردد أولي على خلفية أن يؤثر ذلك على التوازن العسكري بين الهند وباكستان ، وسيتم تسليم أول خمس طائرات أواكس بحلول عام ٢٠٠٧م ، وحالياً تجري الهند وإسرائيل مباحثات حول بيع الجيل الثاني من منظومة "حيتس" المعد لاعتراض الصواريخ البالستية ، الأمر الذي يعزز قابلية الدفاع الجوي الهندي .. رغم أن مبيعات كهذه تحتاج إلى موافقة الولايات المتحدة بسبب التعاون المشترك في تطويرها .

إن محاولات الهند لتعزيز دفاعاتها التقليدية لمواجهة خصمها النووي (باكستان) كانت تدعم بشكل واسع من قبل الصناعة العسكرية الإسرائيلية . ويتضمن ذلك صواريخ أرض جو ، هندسة

طيران ، محسسات متطورة لمراقبة التسرب الحدودي ، طائرات بدون طيارين يجري قيادتها عن بعد ، إضافة إلى المدفعية .. وكانت إسرائيل قد أرسلت صواريخ موجهة بالليزر إلى الهند في العام ١٩٩٩م . الأمر الذي جعل الجيش الهندي مؤهلاً لتدمير المخابئ الباكستانية في الجبال .. ولدى تخطيط الهند لتوجيه ضربة عسكرية لباكستان في حزيران ٢٠٠٢م ، قامت إسرائيل بتجهيز الطيران الهندي بمعدات خاصة بعد زيارة مدير علم وزارة الدفاع الإسرائيلية التي قام بها للهند في حينه .

وخلال زيارة شارون إلى الهند ، جرى تداول مسألة تطوير منظومة صواريخ معترضة للصواريخ ، إذ أن الهند قلقة بشأن الترسانة النووية لباكستان ، خاصة على خلفية السيطرة عليها من قبل الجيش الباكستاني .

إن أولى التأثيرات الفورية للعلاقة الأمنية بين الهند وإسرائيل هي على باكستان ، القلقة من الميزان الاستراتيجي في شبه القارة الذي يميل لغير صالحها ، تحديداً مع وجود صعوبة في مجاراة القدرة العسكرية التقليدية للهند وإسرائيل مجتمعتين .. خصوصاً ما يتعلق بالقلق الباكستاني من توريد إسرائيل للهند منظومة "حيتس" ضد الصواريخ ومنظومة "فالكون" ، بحيث سيصعب على الطائرات الحربية الباكستانية التحرك من دون أن تكتشف .. إضافة إلى أن نظام "باراك" المضاد للصواريخ سيحمي البحرية الهندية من الصواريخ الباكستانية ، وهو ما يعطي الهند قدرة عالية على المناورة البحرية قبالة باكستان ، وفي هذا السياق قام وفد إسرائيلي برئاسة نائب مدير علم وزارة الدفاع "زيفي بيناي" بزيارة إلى نيودلهي عام ٢٠٠٤م ضم مسئولين من مؤسسة تصدير الأسلحة "سيبات" والصناعات الجوية الإسرائيلية لحمل الهند على الإسراع في إتمام صفقات الأسلحة التي ما

زالت قيد البحث ومنها أنظمة صواريخ "باراك" ، طائرات التجسس بدون طيارين ، أجهزة المراقبة الجوية وفي أعماق البحار ، آلات الرؤية الليلية وأسلحة مضادة للغواصات ، كما أن شركات أسلحة إسرائيلية من أمثال RAFAEL, IAI, ELTA, ELOP, ELBIT وقعت مع الهند صفقات رئيسية عديدة لتزويدها بمختلف أنواع الأسلحة وتحديثها ، خاصة وإن شركة "IAI" الإسرائيلية قامت بتزويد الهند بعدد كبير من طائرات دون طيارين مع معداتها الأخرى مثل آلات التصوير .

وعلى الرغم من التغيير الحكومي في الهند ، قام نائب قائد الجيش الهندي ، قائد البحرية وقائد القوة الجوية بزيارة لإسرائيل .. وهي زيارات جرى مبادلتها بزيارات لمسئولي وزارة الدفاع الإسرائيلية وللمدراء التنفيذيين الكبار في مؤسسات صناعة الأسلحة الرئيسية .. وعلى الرغم من الخشية الإسرائيلية من أن التعاون العسكري قد يتضرر بتبدل الحكومة الهندية ، إلا أن وزير الدفاع الهندي الجديد "برناب موكرجي" أوضح أنه ليس هناك تغيير في العلاقات الدفاعية الحالية ما بين الهند وإسرائيل ، خاصة وإن الهند بصدد التوقيع على صفقة عسكرية بقيمة ٢٣٠/مليون دولار لشراء ٥٠/طائرة إسرائيلية بدون طيارين من طراز "هيبرون" وطراز "إيقيل" ، الجدير بالذكر أن هذه الطائرة تتميز بقوة التحمل وقدرتها على التحليق على بعد ٢٥٠٠٠/قدم لمسافة أكثر من ١٠٠٠/كم ، ولفترة تزيد على الـ ٢٤/ساعة مما يمكنها من توفير معلومات مخابراتية دقيقة ، كما تتميز أيضاً بتقنية عالية في الإقلاع والهبوط وأجهزة مراقبة دقيقة ، إلا أن ردود فعل مجموعة الأحزاب اليسارية الهندية المؤيدة لحكومة التحالف التقدمي المتحد الحاكم بزعامة حزب المؤتمر جاءت قوية ، حيث طالبتها بإنهاء

العلاقات العسكرية مع إسرائيل والتي أقامتها الحكومة الهندية السابقة للتحالف الوطني الديمقراطي بزعامة حزب بهارتيا جانتا ، خاصة وإن توطيد العلاقات مع إسرائيل في مجال الدفاع قد أساءت إلى الشعب الفلسطيني بصفة خاصة والعالم العربي بصفة عامة .

◆ مجالات التعاون الأخرى :

التعاون في عالم الدفاع ومكافحة الإرهاب قاد الهند وإسرائيل للتنسيق أيضاً في تنويع التعاون ، وباعتبارهما دولتين صناعيتين ومتقدمتين تقنياً ، جعل التعاون بينهما ذا مغزى وفائدة متبادلتين ، فقد شهدت التجارة بين الهند وإسرائيل نمواً بلغ ستة أضعاف ما كان عليه قبل العقد الأخير ، وأصبحت إسرائيل ثاني أكبر شريك تجاري في آسيا بما يخص التجارة غير العسكرية مع الهند .. فقد سعت الهند إلى زيادة حجم التجارة مع إسرائيل لتصل إلى ٥/ملايين دولار خلال الثلاث سنوات القادمة ، حيث صرح وزير التجارة والصناعة الهندي السيد كمال نات بأنه يتوقع أن يبلغ حجم التجارة المشتركة حوالي ٢/بليون دولار هذا العام والذي يعادل ضعف حجم السنوات الأربع الماضية أي أن حجم التبادل التجاري بينهما ارتفع بعد إقامة العلاقات الدبلوماسية بواقع ٣٠٪ سنوياً .. بالرغم من أنه أقل بكثير من الإمكانيات الكبيرة المتاحة أمام الطرفين ، ويظل الميزان التجاري لصالح إسرائيل بصفة عامة ، كما أعلن السيد كمال نات أيضاً عن تشكيل مجموعة مشتركة للدراسات والبحوث مع إسرائيل تهدف إلى تعزيز العلاقات التجارية بين البلدين ، في حين يشكل الماس ٦٥٪ من صادرات الهند لإسرائيل وتتضمن أيضاً النسيج ، خيوط القطن ، الكيماويات العضوية والآلات ، وقد تم التوقيع على مذكرة تفاهم للتعاون الاقتصادي في عام ١٩٩٣م ، واتفاقية التفضيل التجاري عام

١٩٩٥م ، ومنع الازدواج الضريبي وحماية الاستثمارات عام ١٩٩٦م ، والتعاون في البحوث الصناعية والزراعية عام ١٩٩٧م خلال زيارة الرئيس الإسرائيلي "وايزمان" لنيودلهي ، وتم إنشاء مكتب سياحي للهند في تل أبيب عام ١٩٩٧م ، وشارك أكثر من ٨٠٠/من الخبراء الزراعيين ومندوبي الشركات من الهند في المعرض الزراعي الدولي بإسرائيل علم ١٩٩٩م ، كما أقامت الهند معرضاً تجارياً لها في إسرائيل في شهر مايو ٢٠٠٠م ، وتقوم الشركات الإسرائيلية بتنفيذ حوالي ١٧٠/مشروع مشترك في الهند وخاصة في مجال الري بالتقطير ، وهناك شركات إسرائيلية حريصة على استقطاب العمالة الخارجية من الهند ، خاصة وإن الهند تعتبر مركزاً هاماً للقيام بأعمال تجارية في قطاع تكنولوجيا المعلومات .

وخلال زيارته للهند ، اصطحب أريل شارون ٣٠/رجل أعمال متلهف لصياغة عقود وفتح أسواق جديدة في الهند .. وهو ما يشير إلى سعي إسرائيل لتعزيز علاقاتها الاقتصادية والتجارية مع الهند .

وعرضت إسرائيل على الهند المساعدة بمشاريع تقنية المعلومات والاتصالات ، تطوير تقنيات الزراعة ، هندسة الطيران .. وترغب الشركات الهندية ببيع منتجات كيميائية وصيدلة في إسرائيل والاستثمار المشترك .. الأمر الذي يمكنها من الوصول بشكل أفضل إلى الأسواق في أوربا والولايات المتحدة الأمريكية التي لديها اتفاقيات تجارة حرة مع إسرائيل .

وفي مجال التكنولوجيا المتقدمة ، وقع الجانبان الهندي والإسرائيلي بقيادة وزير الصناعة والتجارة الإسرائيلي "ايهود أولميرت" و وزير العلوم والتكنولوجيا "كابل سيبال" في عام ٢٠٠٤م علي اتفاقية لإنشاء مبادرة مشتركة لتطوير البحوث الصناعية

والتنموية بالبلدين ، حيث اتفق الجانبان على استثمار ١/مليون دولار في هذا البرنامج ، وستقوم الهند وإسرائيل بإقامة صندوق مشترك للبحوث والتنمية لتشجيع المستثمرين الجدد والمشاريع التجارية والصناعية المشتركة .

إن مدى العلاقة الهندية الإسرائيلية يمكن اكتشافها في الاتفاقيات التي جرى توقيعها خلال زيارة شارون للهند ، فقد غطت الاتفاقيات الست التي جرى توقيعها ، حقل البيئة ، مواجهة تجارة المخدرات المحظورة ، التأشيرات ، الخدمات ، التعليم وبرنامج للتبادل الثقافي .

وعلى مدى قصير نسبياً من العلاقات الدبلوماسية الرسمية ، أسست الهند وإسرائيل شراكة حيوية ، وبينما تهدف الهند لتعزيز دفاعها وأجهزتها الأمنية كنتيجة لهذه الشراكة ، تحصل إسرائيل على رصيف الديمقراطية الأكبر في العالم ، حيث تعتبر لاعباً استراتيجياً في المنطقة .

◆ مسألة فلسطين :

لعل القضية الفلسطينية من أهم القيود التي تظهر في البيئة السياسية المحلية الهندية ، فالهند لا تستطيع إهمال مشاعر السكان المسلمين (حوالي ١٤٠/مليوناً) المعارضة لسياسة إسرائيل بخصوص الفلسطينيين .. والخوف من عزل السكان المسلمين كان العامل الرئيسي الذي منع الهند من تطبيع العلاقات مع إسرائيل لعقود ، فقد كانت الهند من المؤيدين بقوة لحق تقرير المصير الفلسطيني .

مع ذلك ، فإن بضع جهات يسارية ومنظمات إسلامية أبدت رفضها العلني لزيارة أريل شارون للهند ، والحكومة الهندية أوضحت

مع ترحيبها بشارون أنها لن تخفف من دعمها التقليدي للقضية الفلسطينية ودعمها لياسر عرفات كزعيم للفلسطينيين باعتباره رمزاً وطنياً فلسطينياً ، وهو في حد ذاته لديه مركزية في أي عملية سلام في الشرق الأوسط ، وهي وجهة نظر مخالفة تماماً لنظرة حكومة شارون ، التي كان لديها مصلحة في طرد عرفات والسماح بظهور قيادة فلسطينية بديلة .

إن الخلاف على دور عرفات لا يعني أن الهند لم تجر إعادة تقييم لسياستها في الشرق الأوسط ، فقبل عام ١٩٩٢م ربطت الهند علاقاتها مع إسرائيل بالقضية الفلسطينية ، وبعد عام ١٩٩٢م قررت فصل المسارين ، وأوضحت أن مسألة فلسطين ليست شرطاً مسبقاً لتطبيع العلاقات مع "إسرائيل" ، وبذلك تناغمت مع معظم دول العالم .

وعلى مر السنين ، خففت الحكومة الهندية من ردود أفعالها على معاملة إسرائيل للفلسطينيين ، وسياسة شارون نحو الفلسطينيين لم تلغ الرفض المعتدل لسياسة إسرائيل .. وهو ما كان سابقاً يعبر عنه (بقسوة) ، كما أن الهند بدأت أيضاً بشجب عمليات التفجير الانتحارية الفلسطينية وأعمال الإرهاب الأخرى في إسرائيل ، والزيارة الرمزية لوزير الخارجية الفلسطيني إلى الهند قبل زيارة شارون أنتجت فقط إشارة هندية إلى أنها قلقة بشأن محنة الفلسطينيين ، كما أن الهند لم تعد تؤيد قرارات ضد إسرائيل في الأمم المتحدة وقامت بمحاولات جدية لتلطيف قرارات الجمعية العمومية ضدها .

كما أن الهند أدركت أن موقفها المؤيد للعرب لم يكافأ بشكل كاف في العالم العربي ، فالهند لم تنل أي تأييد نافع من البلدان العربية فيما يتعلق بمحيطها ، خصوصاً لجهة كشمير ، ولم تكن هناك

محاولات جدية من قبل العالم العربي للضغط على باكستان لكبح التمرد الحدودي في كشمير، بالعكس؛ وقف العالم العربي بجانب باكستان بحزم، واستخدم منظمة المؤتمر الإسلامي لبناء الدعم لإسلام أباد والجهاد في كشمير، وهناك فهم متزايد في الهند لواقع أن دولاً عربيةً، مثل الأردن، يمكنها أن تبقي روابطها التقليدية مع الفلسطينيين سليمة بينما تبني علاقات مع إسرائيل، وليس هناك من سبب أن لا تتخذ الهند طريقاً مماثلاً، وهو ما يعطيها مجالاً أوسع للمناورة الدبلوماسية.

على الرغم من ميل الهند نحو إسرائيل في التسعينيات، إلا أنها ستكون مجبرة على تفعيل علاقاتها الثنائية مع إسرائيل ضمن القيود المفروضة عليها داخلياً ومصالحها في الشرق الأوسط، وعليها أن تكون حذرة كي لا تظهر العلاقة كمحور يهودي هندوسي ضد الإسلام، إضافة إلى أن معالجة "إسرائيل" للقضية الفلسطينية ستكون عاملاً رئيسياً في العلاقة، وسيكون من الصعب على الهند أن تبرر دعمها المستمر لإسرائيل في حال بقيت السياسات الإسرائيلية أكثر قساوةً و وضوحاً تجاه الفلسطينيين، كذلك فإن لدى الهند مصالح في العالم العربي، حيث يعمل ثلاثة ملايين هندي في منطقة الخليج ويوفرون العملات الصعبة للهند، كما أن ربع إمداداتها من النفط يأتي من الشرق الأوسط، وعموماً تريد الهند شريكاً سياسياً وعسكرياً دون أن يدفعها ذلك إلى مجابهة مع العالم الإسلامي.

***